الذكوات البيض

اسم مشتق من الذكوة وهي الجمرة الملتهبة والمراد بالذكوات الربوات البيض الصغيرة المحيطة بمقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب{عليه السلام}

شبهها لضيائها وتوهجها عند شروق الشمس عليها لما فيها

موضع قبر علي بن أبي طالب {عليه السلام}

من الدراري المضيئة

{در النجف}فكأنها جمرات ملتهبة وهي المرتفع من الأرض، وهي ثلاثة مرتفعات صغيرة نتوءات بارزة في أرض الغري وقد سميت الغري باسمها، وكلمة بيض لبروزهاعن الأرض.وفي رواية إنّها موضع خلوته أو إنّها موضع عبادته وفي رواية أخرى في رواية المفضل عن الإمام الصادق {عليه السلام}قال: قلت:يا سيدي فأين يكون دار المهدي ومجمع المؤمنين؟ قال:يكون ملكه بالكوفة، ومجلس حكمه جامعها وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة وموضع خلوته الذكوات البيض

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

No.:
Date:

الرقم: ب ت ع/ ٥٠٤٩
التاريخ: ١٤/٨/٢٠٢٢

ديوان الوقف الشيعي / دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة الذكوات البيض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

إشارة الى كتابكم المرقم ١٠٤٦ والمؤرخ ١٢/٢٨ /٢٠٢١ والملحقاً بكتابنا المرقم ب ت ٧٤٤/٤ في ٢٠٢١/٩/٦ ، والمتضمن أستحداث مجلتكم التي تصدر عن الوقف المذكورة أعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا أعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

... مع وافر التقدير

أ.م.د حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير / وكالة
٢٠٢٢/١/١٧

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التأليف والنشر والترجمة / مع الاوراق.
- الصادرة.

مهند ابراهيم
١٠ / تشرين الثاني

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – دائرة البحث والتطوير – القسم الأيمن – المجمع الثربوي – الطابق السادس

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم
المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة الذكوات البيض مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ تشرين الأول ٢٠٢٥ م
رقم الإيداع في دار الكتب والو ثائق (١١٢٥)
الرقم المعياري الدولي ISSN 2786-1763

الذكوات البيض

عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ.د. فائز هاتو الشرع

مدير التحرير
حسين علي محمد حسن الحسني

هيأة التحرير
أ.د. عبد الرضا بهية داود
أ.د. حسن منديل العكيلي
أ.د.نضال حنش الساعدى
أ.د. حميد جاسم عبود الغرابي
أ.م.د. فاضل محمد رضا الشرع
أ.م.د. عقيل عباس الريكان
أ.م.د. أحمد حسين حيال
أ.م .د. صفاء عبدالله برهان
م.د.موفق صبرى الساعدى
م.د.طارق عودة مرى
م.د. نوزاد صفر بخش

هيأة التحرير من خارج العراق
أ.د.نور الدين أبو لحية / الجزائر
أ.د. جمال شلبي/ الاردن
أ.د. محمد خاقاني / إيران
أ.د. مها خير بك ناصر / لبنان

العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ – تشرين الأول ٢٠٢٥ م

التدقيق اللغوي
م.د. مشتاق قاسم جعفر

الترجمة الانكليزية
أ.م.د. رافد سامي مجيد

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦هـ - تشرين الأول ٢٠٢٥م

العنوان الموقعي
مجلة الذكوات البيض
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات
الاتصالات
مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١
الرقم المعياري الدولي
ISSN ١٧٦٣-٢٧٨٦
رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٥)
لسنة ٢٠٢١
البريد الالكتروني
إيميل
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

دليل المؤلف

١–أن يتسم البحث بالأصالة والجدّة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢– أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربي، ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان: أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word ٢٠٠٧ أو ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيّة للطباعة.

٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصفية APA

٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين ألف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيّة.

٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢)

أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام الأكتروني(تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم،والمسافة بين الأسطر (١) .

١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضّل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيّة النشر أو عدمها في مدّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدّلةٍ في مدّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قُبلت أم لم تُقبل.

١٦–تكون مصادر البحث وهوامشه في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الأستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) ألف دينار.

٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١–ترسل البحوث إلى مقر المجلة – دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي بغداد – باب المعظم)

أو البريد الإلكتروني:(hus65in@Gmail.com) (off reserch@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في مقر المجلة

٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخِلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

محتوى العدد (١٧) المجلد الخامس

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	الثنائيات الطباقية وتمثلات السلطة في مسرحية «الاغتصاب» للكاتب سعد الله ونوس دراسة في ضوء النقد الثقافي	أ. د. بيداء محي الدين مزرو	٨
٢	الفساد الإداري والمالي وتمثلاته في النصوص المسرحية: رأس الشليلة ليوسف العاني اختياراً	أ.م.د حيدر علي كريم	٢٠
٣	أمنيات أهل النار يوم القيامة في القرآن الكريم دراسة موضوعية	أ.م. د.محمود عربي سلمان	٥٢
٤	التصحر في العراق وآثاره البيئية	أ.م. د. سعاد عبد الكاظم	٦٢
٥	مفردة (هجر)في كتب اللغويين ومفردات القرآن والتفسير	أ.م.د. رياض عبدالرحيم حسين	٦٨
٦	كتاب الغسل من خزانة المفتين للإمام الحسين بن محمد بن حسين السمنقاني الحنفي (ت: ٧٤٦هـ) دراسة وتحقيق	أ.م. د.محمد حسين عودة م. د. محمد هادي طلال محمد	٨٠
٧	التجريد البديعي في ديوان زياد الأعجم	أ.م.د ماجد عبيد دايح	٩٦
٨	الخلافات الفقهية بين الإمامية والجمهورفي المسائل الإرثية المتعلقة بأصحاب الفروض دراسة تطبيقية	أ.م.د أمجد مراقب داود	١٠٨
٩	إبليس القائد المحنك«دراسة قرآنية»	م. د. حسن محمد عبدالقصر	١٣٤
١٠	علة البناء القرآني في ضوء علم المناسبة	م. د. محمد عبد علي علوان	١٥٠
١١	دلائل الحائرين دراسة منهجية في فكر موسى بن ميمون	م. د. علي طالب محل	١٦٠
١٢	التسول بين الشريعة الإسلامية والقانون العراقي واثره في المجتمع	م. د. وسام مخلف محمد	١٧٤
١٣	التشابه والاختلاف في الخصائص الفنيةلرسوم الاطفال ورسوم الفطريين	م. م. عروبة كاظم ديكان	١٨٦
١٤	الاتجاهات السياقية في ديوان (مسلة الأرجوان)للشاعر شاكر الغزي	م.د. بلسم خيرالله سباهي	٢٠٠
١٥	بَحْرُ الدُّرَرِ عَلِيّ ابْنِ الْمَوْلَى مُحَمَّدٍ جَعْفَرْ شَرِيْفُمَدار الاسْتَرَابَادِيّ «ت: ١٣١٥ هـ»	م. د. نوري عبد الكريم نعمة	٢٠٨
١٦	ظاهرة المساجد في العمارة الإسلامية	م. د. أحمد هاتف المفرجي م. م. أشواق طالب حسين	٢٣٠
١٧	الوعي المجتمعي في ظل التحولات الرقمية	م. د. جمال إبراهيم غزالي	٢٤٤
١٨	مرويات التابعي اويس القرني وأقوال العلماء فيه	م.د.عثمان عبد العزيز محمود	٢٥٦
١٩	دقة اللفظ القرآني في الدلالة على المعنى	م.د. حاتم عايد جاسم	٢٧٦
٢٠	الوحدة الاسلامية دعامة الاصلاح في فكر الشيخ محمد مهدي شمس الدين	عصمت كاظم حميد	٢٨٨
٢١	استرجاع الأمكنة بوصفها رمزاً للهوية والانتماء في شعر صدر الاسلام	الباحثة: أسماء باهر فاضل أ. م.د. محمود أحمد شاكر	٣٠٢
٢٢	الخصائص السكانية لمدينة مندلي لعام ٢٠٢٤م	الباحثة: داليا حسين علي م. د. عواطف تحسين احمد	٣١٤
٢٣	وقت الوقوف بعرفة ورمي جمرة العقبة دراسة فقهية مقارنة	أ.م.د.محمد إبراهيم أحمد	٣٢٦
٢٤	الصوت الحكيم في العصر العباسي دراسة في شعر محمود الوراق	م.د صالح علي حمود	٣٤٠
٢٥	إثر استخدام الذكاء الاصطناعي في تحسين تجربة الزبون واتخاذ القرار التسويقي دراسة تطبيقية على زبائن المتاجر الالكترونية	م. دهيم قتيبة غضبان زمن عبدالله ادهم ومن رحيم كريم غدير خليل عبد الأمير	٣٥٤
٢٦	اعتماد الطلبة في كلية الاعلام بجامعة اليرموك على قناة رؤيا كمصدر للمعلومات	حيدر محمد خلاوي	٣٧٢
٢٧	تسميات النجف وقبر امير المؤمنين دراسة من الناحية التاريخية والأثرية	م .م.أحمد عبد الكاظم محمد	٣٨٤
٢٨	دلالة التحول من الماضي إلى المضارع في سياق القصص القرآني« دراسة نحوية دلالية»	م.م. أنوار حمزة حسن م.م. إيلاف قاسم محمد	٤٠٤
٢٩	تحولات الذات وتجليات الارتداد في شعر عمر بن عبد الله العلي بين الجد الشعوري والبناء الصوري	م.م. علياء عبد الحسين عطية	٤١٦
٣٠	صورة الممدوح في شعر أبي معشوق الموسوي	م. م. ابتهاج جاسم محمد	٤٢٨
٣١	الارهاب البيولوجي في ضوء القانون الداخلي والدولي	م.د.محمد أسعد وهيب	٤٤٠
٣٢	الصناعة في عصر الذكاء الاصطناعي« مقال مراجعة»	م. د. شيماء حسين صالح	٤٥٦
٣٣	آثار المعرفة السيرانية وتداعياتهاعلى الإنسان ونمط تفكيره	م. د. صادق كاظم مكلف	٤٦٤
٣٤	The Effectiveness of AI-Based Feedback in Developing Writing Skill in English for Learners	Qutaiba Alwan AbdAlsalam	٤٧٢

فصلية مُحكّمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ كانون الأول ٢٠٢٥م

دلالة التحول من الماضي إلى المضارع في سياق القصص القرآني« دراسة نحويّة دلاليّة»

م.م. أنوار حمزة حسن م.م. إيلاف قاسم محمد
جامعة الفرات الأوسط التقنية/ الكلية التقنية الإدارية

فصلية مُحكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ كانون الأول ٢٠٢٥م

للستخلص:
يتناول هذا المبحث ظاهرة التحول من الماضي إلى المضارع في سياق القصص القرآني، باعتبارها من أبرز الظواهر النحوية والدلالية التي تكشف عن عمق البيان القرآني. وقد بُني البحث على خمسة مطالب متكاملة: الأول عرض البنية النحوية للتحول، حيث يُعدّ الماضي الأصل في السرد، والمضارع وسيلة للاستحضار والتجديد. أما الثاني فقد ركّز على الدلالة البلاغية لهذا التحول، من خلال تصوير المشاهد وإحياء السرد في وجدان المتلقي. وفي المطلب الثالث تم الكشف عن الأبعاد الدلالية والعقدية، حيث ظهر أنّ التداخل الزمني يرسّخ صدق الرسالات ويجعل العبرة متجددة في كل زمان. وجاء المطلب الرابع ليربط بين الأسلوب القرآني والذائقة العربية القديمة، موضحًا أنّ القرآن ارتقى بهذا الأسلوب من غاية تصويرية إلى مقصد عقدي. ثم ختم المبحث بالمطلب الخامس الذي أبرز الأثر البياني والتربوي لهذه الظاهرة، بوصفها وسيلة لترسيخ الهداية وبناء الوعي الإيماني. ومن ثم خلص البحث إلى أنّ التحول الزمني في القرآن يجمع بين التوثيق التاريخي، والتصوير البلاغي، والتكليف العقدي، والتأثير التربوي، مما يجعله أداة متكاملة من أدوات الإعجاز البياني والوظيفة العقدية.

الكلمات المفتاحية: الدلالة ، التحول الزمني ، الفعل الماضي ، الفعل المضارع ، القصص القرآني

Abstract:

This study examines the phenomenon of the shift from past tense to present tense in Qur'anic narratives, considering it one of the most significant syntactic and semantic features that reflect the depth of Qur'anic expression. The research is structured into five interconnected sections: The first addresses the syntactic foundation of this shift, where the past tense serves as the primary mode of narration, while the present tense functions as a means of vivid representation and renewal. The second explores the rhetorical implications of this shift, highlighting its role in animating scenes and engaging the audience's imagination. The third section investigates the semantic and theological dimensions, demonstrating how temporal shifts reinforce the truth of revelation and render its lessons ever-relevant. The fourth compares this stylistic device with pre-Islamic Arabic discourse, showing that the Qur'an elevated it from a mere artistic tool to a theological purpose. Finally, the fifth section emphasizes the rhetorical and educational impact of this phenomenon, underscoring its role in strengthening guidance and shaping religious consciousness. The study concludes that temporal shifts in the Qur'an integrate historical verification, rhetorical vividness, doctrinal obligation, and pedagogical impact, making them a comprehensive instrument of both rhetorical inimitability and theological function.

Keywords: Semantics, Temporal Shift, Past Tense, Present Tense, Qur'anic Narratives

المقدمة:

يُعدّ القصص القرآني من أبرز ميادين البيان في كتاب الله، إذ يجمع بين الإخبار التاريخي، والتصوير البلاغي، والهداية العقدية. ومن الظواهر الأسلوبية التي تستوقف الباحث في بنية هذا القصص ظاهرة التحول من الفعل الماضي إلى الفعل المضارع، حيث يُفتتح السرد بالماضي الذي يلائم الحكاية عن أحداث مضت، ثم ينتقل النص فجأة إلى المضارع في وسط السياق، ليخرج بالسامع من فضاء التاريخ المنقضي إلى فضاء الحاضر المشهود. وهذه الظاهرة لم تأتِ على سبيل المصادفة، بل وردت في مواطن متعددة، مما يدلّ على قصدية أسلوبية ودلالية تستحق الدراسة والتأمل.

وتكمن مشكلة البحث في أنّ كثيرًا من الدارسين تناولوا الفعل الماضي أو المضارع في القرآن في إطار وظائفهما الزمنية التقليدية، دون التوقف مليًّا عند ظاهرة التداخل بينهما في سياق واحد، وما يترتب على ذلك من دلالات نحوية وبلاغية وعقدية. فالانتقال من زمن إلى آخر داخل النص القرآني ليس خرقًا للنظام اللغوي، بل هو توظيف بلاغي مقصود له آثاره التفسيرية والفكرية، وهو ما يحتاج إلى تحليل يكشف أسراره ويبيّن أبعاده.

وينطلق هذا البحث من هدف أساس، هو الكشف عن الدلالات النحوية والبلاغية والعقدية للتحول الزمني في القصص القرآني، وبيان كيف أسهم هذا الأسلوب في تثبيت حقائق العقيدة، وتجسيد العبرة، وربط الماضي بالحاضر والمستقبل ومن خلال ذلك يسعى البحث إلى إبراز خصوصية البيان القرآني في توظيف الأزمنة، مقارنة بما هو مألوف في لسان العرب من شعرهم وخطبهم.

أما أهمية هذا المبحث فتتجلى في أنه يفتح نافذة لفهم جانب من جوانب الإعجاز القرآني، حيث يتكامل النحو والبلاغة والعقيدة في نسق واحد متماسك. كما أنّ هذه الظاهرة تكشف عن أن القصة القرآنية ليست مجرد سرد للتاريخ، بل هي خطاب حيّ متجدد يخاطب العقول والقلوب في كل عصر، ويحوّل الماضي إلى حاضر ممتد، ويجعل من اللغة أداة تربية وهداية. ومن ثم فإن الوقوف على هذه الظاهرة يسهم في إثراء الدراسات القرآنية، ويعمّق الوعي بالأسلوب القرآني، ويمدّ الدرس النحوي والبلاغي بآفاق جديدة متصلة بالمقاصد العقدية

تمهيد:

وانطلاقًا من هذه الإشكالية وما يترتب عليها من أهداف وأهمية، جاء هذا المبحث ليعالج ظاهرة التحول الزمني في القصص القرآني من خلال رؤية نحوية دلالية شاملة. وقد اقتضى منهج البحث أن يُقسَّم المبحث على خمسة مطالب مترابطة:

تناول الأول البنية النحوية للتحول بين الماضي والمضارع، بوصف الماضي هو الأصل في السرد، مع تحليل مواقع العدول إلى المضارع.

أما الثاني فقد خُصّص الدلالة البلاغية لهذا التحول، مبرزًا أثره في الاستحضار والتجسيد والتشويق.

واهتم الثالث بالأبعاد الدلالية والعقدية، حيث يُبرز دور الزمن في تثبيت العقيدة وإحياء العبرة وتجديد معناها.

وجاء الرابع ليتناول المقارنة بين التحول الزمني في القرآن وبين الأسلوب العربي القديم، مبرزًا الفارق بين الغاية الفنية عند العرب والغاية العقدية في القرآن.

ثم ختم المبحث بالمطلب الخامس الذي تناول الأثر البياني والتربوي لهذا التحول، موضحًا كيف يتكامل الزمن مع الهداية القرآنية في تشكيل وعي الأمة وإرشادها.

وبذلك تتكامل هذه المطالب في إبراز أن التحول الزمني في القرآن ليس مجرد تنويع أسلوبي، بل هو بناء نحوي وبلاغي متكامل يخدم المقاصد العقدية والتربوية في أسمى صورها.

المطلب الأول: البنية النحوية للتحول بين الماضي والمضارع

يُعدّ الفعل من أهم العناصر المكوّنة للجملة العربية، إذ هو حامل الزمن والدلالة الأساس في بناء التركيب، وبه تتحدد ملامح السرد القصصي في القرآن الكريم. وقد استقرّ الاستعمال العربي على أن الفعل الماضي هو الأداة

الأبرز في نقل الأحداث الغابرة، لأنه يدلّ بطبيعته الصرفية على زمن القضى وانتهى وقوعه. ولذا جاء معظم القصص القرآني مؤطّراً بالأفعال الماضية، بما ينسجم مع الغرض من الحكاية التي تعود بالأحداث إلى زمن سابق. غير أنّ التدبّر في بنية القصص القرآني يكشف ظاهرة لافتة، وهي التحوّل المفاجئ من استعمال الماضي إلى المضارع في سياق واحد، بحيث يخرج الخطاب من إطار السرد الزمني الغابر إلى الحاضر الآني. وهذا التحوّل لا يُعَدّ انقطاعاً أو خللاً في النظام النحوي، بل هو انتقال محسوب يخضع لقوانين السياق، ويعكس مرونة البنية النحوية العربية وقدرتها على التلوين الزمني لتحقيق أغراض بلاغية ودلالية. وقد نبّه ابن جني إلى أن التحول بين الأزمنة «باب في البلاغة» يهدف إلى التنويع في الخطاب لا إلى الإخلال به(١).

يُعَدّ الفعل الماضي هو الصيغة الأبرز التي يقوم عليها السرد القرآني، لأنه الأقدر على أداء وظيفة الحكاية عن أحداث وقعت وانقضت. فالقصص في جوهره عودة بالزمن إلى الوراء، ومن ثم فإن التعبير بالفعل الماضي ينسجم مع طبيعته ويؤدي غرضه على أكمل وجه. ولعلّ افتتاح قصة خلق آدم بقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: ٣٠] شاهد بيّن على هذا الأصل، إذ تُروى الحادثة هنا بوصفها واقعة تاريخية مكتملة، لا بوصفها احتمالاً أو تصوّراً ذهنياً. وقد نصّ سيبويه من قبل على أن «الأصل في الحكايات أن تُؤدّى بالفعل الماضي» (٢)، وهو ما ينسجم مع هذا السياق.

وقد التفت الزمخشري إلى هذه الظاهرة فقال: «إن الماضي هو باب الحكايات، وهو المناسب للتذكير بالعبر»(٣)، فهو يرى أن الماضي ليس مجرد اختيار لغوي، بل هو الاختيار الأليق بمقام القصص الذي يقصد إلى التذكير والاعتبار. فالماضي في جوهره يحيل إلى زمن متحقق ثابت، ومن ثم فإنه يُلقي على الخبر مسحة من اليقين ويُبعده عن دائرة الاحتمال. ومن هنا كان القرآن يوظّف هذا الزمن لتثبيت وقائع التاريخ وتقرير العبر المتولّدة منها، كما بيّن الطبري أن استعمال الماضي في أخبار الأنبياء جاء ليُرسّخ اليقين في نفوس المخاطبين(٤).

ومن زاوية أخرى، يبين ابن عاشور أن استعمال الماضي في القصص القرآني يولّد في نفس السامع «إحساساً بالتاريخية والسبق الزمني، ليكون في سياق العظة والتذكير»(٥). والمعنى أن السامع حين يتلقى الأفعال الماضية في القصة القرآنية فإنه لا يتعامل معها بوصفها أحداثاً متخيلة، بل كوقائع منجزة قد جرت وانتهت، الأمر الذي يضاعف من أثرها الوعظي والتربوي. فحين يُقال: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ} \[الأعراف: ٥٩]، فإن صيغة الماضي هنا لا تكتفي بنقل الخبر، بل تؤكد تحققه، وتجعل المتلقي في مواجهة مع تاريخ مكتمل النتائج، بحيث يكون الاعتبار بحال الأقوام السابقة واقعياً لا متوهماً. وهذا ما أشار إليه الرازي في تفسيره، إذ يرى أن الماضي يعكس وقوعاً متحققاً يرسّخ المعنى العقدي في ذهن السامع(٦).

إن اعتماد القرآن على الماضي إذن لم يكن اعتباطياً، بل جاء لتحقيق غاية مزدوجة: فمن جهة هو وسيلة لغوية دقيقة لنقل الحدث بوصفه قد وقع فعلاً، ومن جهة أخرى هو أداة دلالية ترسّخ في وعي المخاطب صورة مكتملة عن الحدث، فيتلقاه على أنه حقيقة تاريخية مقطوع بها. ومن ثم فإن الماضي في بنية القصص القرآني يشكّل قاعدة أساسية ينهض عليها السرد، وهو ما يفسّر غلبته على سائر الصيغ، قبل أن يُفتح المجال لاحقاً للتحول إلى المضارع بوصفه وسيلة لاستحضار المشهد وإحيائه(٧).

ثانياً: التحول إلى المضارع للاستحضار والتجسيد

إذا كان الفعل الماضي هو الأصل في بناء السرد القرآني، فإن التحول إلى الفعل المضارع في سياق القصة يمثل لحظة فنية بالغة الدقة، تهدف إلى إحياء المشهد وتجسيده أمام السامع وكأنه يعايشه في الحال. فالمضارع بطبيعته الزمنية لا يقتصر على الإخبار عن الحاضر، بل يمتاز بقدرته على تصوير الحدث في صورة متجددة نابضة بالحياة، ومن ثم كان الانتقال إليه في ثنايا القصص ضرباً من التصوير البلاغي الذي يُحوّل السرد من حكاية بعيدة إلى مشهد حاضر.

وقد تجلى ذلك بوضوح في قوله تعالى في قصة موسى مع فرعون: {ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى} [النازعات: ٢٢-٢٣]. إذ جاء الفعل «أدبر» بصيغة الماضي ليروي بداية الحدث، ثم أعقبه مباشرة بالفعل «يسعى» بصيغة المضارع ليجسّد هيئة فرعون في لحظة اندفاعه وعدوه، حتى يخيل للسامع أنه يراه بعينه. وقد أشار ابن هشام إلى هذه الخاصية قائلاً: «المضارع أصل في الدلالة على الحال والاستقبال، فإذا أُدخل في سياق الماضي أفاد استحضار الصورة»(٨)، هذا القول يوجز وظيفة المضارع البلاغية؛ فهو وإن كان أصله للحال والاستقبال، إلا أنّ وروده في سياق الماضي يضفي حيوية واستحضاراً للمشهد وكأنه يقع أمام السامع الآن.

وقد نبه أبو حيّان الأندلسي إلى هذه الدلالة في تفسيره فقال: «عُدل إلى المضارع (يسعى) لاستحضار هيئة عدو فرعون في حال طلبه موسى، حتى يُرى ماثلاً أمام العيان»(٩). فهذا العدول لم يكن اضطراباً في النظم، بل كان مقصوداً لذاته ليحمل القارئ أو السامع على مشاركة المشهد شعورياً، فيتحول من مجرد متلقٍ للأحداث إلى مشاهد يواكب حركتها. ومثل هذا الاستحضار يجعل القصة القرآنية أبعد ما تكون عن الجمود التاريخي، إذ تخرج من إطار الحدث المنتهي إلى فضاء العبرة المستمرة والمتجددة.

ومن الوجهة البلاغية، يفسر السكاكي هذه الظاهرة بأنها من خصائص البيان القرآني الذي يُدخل المخاطب في قلب الصورة، إذ يقول: «الانتقال إلى المضارع ضرب من التصوير البياني يجعل الغائب حاضراً»(١٠) كما يؤكد الزركشي أن العدول من الماضي إلى المضارع من أساليب البيان التي «تُنشئ في المتلقي حضوراً ذهنياً يضاعف من قوة العظة» (١١).فالقرآن يوظّف المضارع هنا بوصفه أداة لنقل الحدث من الماضي المنتهي إلى الحاضر المستمر، وبذلك يُنشئ نوعاً من التفاعل الحي بين النص والمتلقي، فيحسّ السامع أن القصة لا تنفصل عن زمنه، وإنما تتجدد دلالتها في كل حين.

ومن ثم يمكن القول إن التحول إلى المضارع في القصص القرآني لم يكن خروجاً على القاعدة، بل كان توظيفاً متقناً لإمكانات النحو العربي، يهدف إلى الاستحضار والتجسيد، ويجعل الخطاب القرآني أكثر تأثيراً في النفس وأقوى نفاذاً إلى الوجدان. فهو أسلوب فني ودلالي معاً، يجمع بين طابع السرد التاريخي ومزية المشهد الحاضر الذي لا يزال يتكرر في الوعي والإدراك.

ثالثاً: المضارع للتجدد والاستمرار

ولا يقف التحول إلى المضارع في القصص القرآني عند حدود الاستحضار والتجسيد فحسب، بل يتجاوزه أحياناً إلى معنى التجدد والاستمرار، بحيث يُراد بالمضارع الإشارة إلى أن الحدث ليس مجرد واقعة عابرة انقضت، وإنما هو فعل يتكرر أو يتواصل في حقيقته ومعناه. وهذا اللون من الاستعمال يضفي على القصة القرآنية بعداً زمانياً مفتوحاً، يجعلها صالحة للاتصال الدائم بوجدان المتلقي، وكأن أحداثها لا تنتهي عند حدود الماضي، بل تظل فاعلة ومؤثرة في الحاضر والمستقبل.

ومن أظهر الشواهد على ذلك قوله تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ} [البقرة: ١٢٧]، حيث وقع الفعل «يرفع» بصيغة المضارع مع أنّ القصة تحكي عن ماضٍ بعيد. وقد ذهب ابن هشام إلى أن هذا الاستعمال إنما هو للدلالة على التجدد، فكأن مشهد رفع القواعد يتكرر في الوعي كلما تليت الآية(١٢). وعلى هذا المعنى يؤكد الرازي في تفسيره أن العدول إلى المضارع هنا يراد منه الإشارة إلى عظمة الحدث وتجدد أثره في الأمة، إذ بناء الكعبة لم يكن حادثة منقطعة، وإنما هو فعل بقيت ثماره متصلة في حياة المسلمين جيلاً بعد جيل(١٣).

إن هذا البعد الدلالي يختلف عن مجرد الاستحضار اللحظي الذي يتيحه المضارع، فهو أوسع أفقاً وأعمق أثراً؛ لأنه لا يستحضر الصورة فحسب، بل يربطها بسلسلة زمنية ممتدة توحي بالاستمرار. وبذلك يغدو المضارع في السياق القرآني أداة لترسيخ معنى العبرة المتجددة، بحيث لا تنغلق القصة على زمنها الأول، بل تنفتح على الأزمنة كلها، لتظل دلالتها ماثلة وحاضرة.

رابعاً: التحليل النحوي للتداخل الزمني

إنّ التداخل الزمني في القصص القرآني يُعدّ من أبرز مظاهر الإعجاز في النظام النحوي العربي، حيث يتجاوز النص حدود الزمن الواحد، لينتقل بين الماضي والمضارع، بل إلى الأمر أحياناً، من غير أن يُحدث ذلك اضطراباً أو تناقضاً في السياق. فالقاعدة النحوية المقرّرة أنّ الفعل الماضي يدلّ على الحدث المنقضي، والمضارع على الحدث الحال أو المستقبل، والأمر على الطلب(١٤)، غير أنّ الاستعمال القرآني وسّع هذه الحدود، وجعل لكل صيغة طاقة دلالية تتجاوز معناها الأصلي، لتؤدي وظيفة أعمق وأدق.

فعندما يأتي الفعل الماضي في السرد، كما في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: ٣٠]، فإن النظم القرآني يرسخ في ذهن المتلقي صورة الحدث مكتملة منتهية، وهو ما أكّد عليه الزمخشري بقوله: «إن الماضي هو باب الحكايات، وهو المناسب للتذكير بالعبر»(١٥)، وكذلك ابن عاشور حين أوضح أنّ الماضي في القصة يُنشئ في السامع «إحساساً بالتاريخية والسبق الزمني ليكون في سياق العظة والتذكير»(١٦). لكن السياق ذاته قد يعدل إلى الفعل المضارع، كما في قوله تعالى: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ} [هود: ٣٨]، فيتحول الخطاب من السرد التاريخي إلى مشهد حيّ حاضر، وكأن فعل نوح عليه السلام يجري أمام السامع لحظة التلاوة. ومن هنا ذهب النحويون والبلاغيون، كأبي حيّان(١٧) والسكاكي(١٨)، إلى أنّ هذا الانتقال ليس خروجاً على القاعدة، بل هو توسعة لدلالة المضارع تجعله صالحاً للاستحضار والتجسيد، وللتعبير عن الاستمرار والتجدد بحسب مقتضى السياق.

وفي مواضع أخرى، يأتي فعل الأمر ليُخرج النص من دائرة الخبر إلى دائرة التكليف المباشر، كما في قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١]، حيث ينصرف الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنه في حقيقته موجّه إلى الأمة جمعاء. ومن منظور نحوي، فإن الأمر هنا يربط بين زمن القول وزمن الامتثال(١٩)، ليشكّل طبقة جديدة من التداخل الزمني، تجعل النص القرآني متحركاً بين الماضي والحاضر والمستقبل في آنٍ واحد. ومن ثمّ، فإن هذا التداخل الزمني لا يُفهم بوصفه مجرّد تنويع أسلوبي، وإنما هو آلية نحوية ودلالية متكاملة، تُسهم في شدّ انتباه السامع، وتكسر رتابة السرد، وتفتح أمام النص آفاقاً أوسع من الدلالة.

خامساً: الأثر التفسيري للتداخل الزمني

لا يقف التداخل الزمني في القصص القرآني عند كونه ظاهرة نحوية أو بلاغية، بل يتجاوز ذلك إلى مجال التفسير، حيث التقى المفسرون — قدامى ومحدثون — على أنّ هذا التلوين الزمني يخدم مقاصد العقيدة ويؤكد معانيها.

فحين يُفتتح السرد بالماضي، كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ} [الأعراف: ٥٩]، فإن المفسرين يرون فيه تثبيتًا لحقيقة النبوة وقطعًا للشك في وقوعها. فالرازي مثلاً يرى أنّ الماضي هنا يدلّ على القطع واليقين، ليكون دليلًا على صدق الرسل، وإحكام سنن الله في عباده.(٢٠)

وعندما يعدل السياق إلى المضارع، كما في قوله: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ} [هود: ٣٨]، فإن الزمخشري يبيّن أنّ العدول إلى المضارع «لتقريب الصورة من الحس، وتصوير الفعل كأنه يقع الآن»(٢١). أما ابن عاشور فيرى أنّ ذلك العدول يُوحي بأنّ الفعل ليس حادثة غابرة، وإنما هو نموذج يتكرر في كل زمان، إذ لا تخلو حياة الناس من ابتلاءات تشبه ابتلاء نوح.(٢٢)

ويأتي الأمر في مواضع أخرى ليحوّل السرد إلى تكليف عقدي مباشر، كما في قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١]، حيث يرى الطاهر بن عاشور أنّ الأمر هنا لا يقتصر على الرسول صلى الله عليه وسلم، بل يتعدى إلى المؤمنين كافة ليجعل العقيدة أمرًا لازمًا للتبليغ والإعلان(٢٣). ومن هنا كان التداخل الزمني في التفسير دليلاً على أنّ القرآن لا يروي أحداثًا منقطعة عن واقع المخاطب، بل يربط بين الأزمنة المختلفة لتظل العبرة والعقيدة حاضرة في الوجدان.

وبذلك يتضح أنّ المفسرين – على اختلاف مشاربهم – قد أجمعوا على أنّ التداخل الزمني في القرآن ليس أسلوبًا زخرفيًا أو لغويًا فحسب، وإنما هو جزء من البناء العقدي للخطاب القرآني؛ فهو يثبت الحقائق الماضية، ويجسدها في الحاضر، ويحوّلها إلى تكاليف مستمرة، فيغدو الزمن أداة تفسيرية تسهم في بيان وحدة الرسالة الإلهية عبر العصور.

يتبيّن من خلال تتبع الأبنية النحوية في القصص القرآني أنّ الفعل الماضي يُشكّل الركيزة الأساس للسرد؛ إذ يقوم بدور تثبيت الأحداث وربطها بالواقع التاريخي المتيقَّن، فيغدو الماضي إطارًا زمنيًا جامعًا لما انقضى من وقائع، بما يرسّخ في وعي المتلقي شعورًا بالقطع واليقين. غير أنّ النظم القرآني لم يقتصر على هذا الزمن، بل عمد إلى إدخال الفعل المضارع في مواضع متعددة، ليحوّل القصة من مجرد ذكرٍ لأحداث غابرة إلى مشاهد حيّة نابضة تُستحضر أمام السامع، وليُضفي على النص صفة الاستمرار والتجدد، بحيث لا تُغلق القصة على زمنها الأول، بل تنفتح على كل الأزمنة ,كما تداخلت صيغة الأمر مع الماضي والمضارع لتربط بين التاريخ والواقع، ولتحوّل العظة إلى تكليف مباشر، مما أخرج القصة من إطار الحكاية إلى مجال العقيدة العملية. وهذا التنوع الزمني لم يكن انزياحًا اعتباطيًا، بل اختيارًا نحويًا مقصودًا يعكس ثراء اللغة القرآنية ومرونتها، ويكشف عن قدرتها على استيعاب الأبعاد العقدية والتربوية في آن واحد. وبذلك يمكن القول إنّ التداخل الزمني في القصص القرآني أسّس لنظام سردي متفرّد، يجمع بين التوثيق التاريخي، والتجسيد البلاغي، والتكليف العقدي، في إطار نحوي متماسك ودلالة إيمانية شاملة.

المطلب الثاني: الدلالة البلاغية للتحول من الماضي إلى المضارع

يُعَدّ الانتقال من الماضي إلى المضارع في القصص القرآني من أعمق الظواهر البلاغية التي تكشف عن قوة البيان القرآني وسر تأثيره في النفوس. فالقصة في أصلها سرد لوقائع تاريخية مضت وانقضت، ومن ثمّ كان من الطبيعي أن تُبنى على الفعل الماضي الذي يحقق غرض التوثيق التاريخي ويؤكد وقوع الحدث. غير أنّ النص القرآني لا يكتفي بذلك، بل يتجاوز مجرد التوثيق إلى غاية أعلى، وهي إحياء المشهد وتجسيد الصورة، بحيث لا يبقى الماضي مجرد خبر، بل يتحول إلى حدث حاضر يعيشه المتلقي لحظة سماعه أو قراءته.

وقد جاء هذا التحول في مواضع كثيرة من القرآن، من أبرزها قوله تعالى في قصة فرعون: {ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى} [النازعات: ٢٢–٢٣]، حيث ابتدأ الفعل «أدبر» بالماضي ليعطي الحدث بعده التاريخي، ثم انتقل السياق فجأة إلى المضارع «يسعى»، ليصوّر حركة فرعون في لحظة اندفاعه، وكأن القارئ يرى مشيته بعينه. وهذا ما يصفه البلاغيون بالاستحضار، أي استدعاء الحدث الغائب ليُرى حاضرًا أمام المخاطَب. وقد فسّر أبو حيّان هذا الموضع بقوله: «عُدل إلى المضارع (يسعى) لاستحضار هيئة عدو فرعون في حال طلبه موسى، حتى يُرى ماثلاً أمام العيان».(٢٤)

ويؤكد السكاكي هذا المعنى في مفتاح العلوم حين يقول: «الانتقال إلى المضارع ضرب من التصوير البياني يجعل الغائب حاضراً»(٢٥)، أي أنّ البلاغة القرآنية توظّف هذا التحول لتعميق المشاركة الشعورية مع القصة، فلا يظل القارئ بعيدًا عنها، بل يصبح مشاهدًا حيًّا للأحداث.

ويتجلى هذا الأسلوب أيضًا في قصة نوح عليه السلام حين قال تعالى: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ} [هود: ٣٨]. فالمقام في أصله مقام ماضٍ، إذ إنّ القصة تحكي ما وقع لنوح مع قومه، لكن اختيار صيغة المضارع «يصنع» و «يسخرون» يصوّر لحظة البناء والاستهزاء تصويرًا حيًّا متجدّدًا. وقد علّق الزمخشري على ذلك قائلاً: «المضارع يُصوّر الحال كأنها واقعة الآن، وذلك أبلغ في التنفير من فعلهم»(٢٦). وأما ابن عاشور فقد بيّن أنّ في هذا التحول معنى آخر هو الإشارة إلى تكرّر الاستهزاء من القوم، فكأنّ سخريتهم ليست واقعة واحدة، بل عادة متجددة مستمرة.(٢٧)

ومن خلال هذا التلوين الزمني يتضح أنّ القرآن لا يريد من القصة أن تكون مجرد خبر للتاريخ، بل أن تكون درسًا متجددًا. فالمضارع يُضفي على المشهد صفة الاستمرار، فيبقى الدرس حاضرًا مع كل تلاوة، وتظل العبرة ماثلة في

الوجدان.

يُعَدّ الانتقال من الماضي إلى المضارع في القصص القرآني من أعمق الظواهر البلاغية التي تكشف عن قوة البيان القرآني وسر تأثيره في النفوس. فالقصة في أصلها سرد لوقائع تاريخية مضت وانقضت، ومن ثمّ كان من الطبيعي أن تُبنى على الفعل الماضي الذي يحقق غرض التوثيق التاريخي ويؤكد وقوع الحدث. غير أنّ النص القرآني لا يكتفي بذلك، بل يتجاوز مجرد التوثيق إلى غاية أعلى، وهي إحياء المشهد وتجسيد الصورة، بحيث لا يبقى الماضي مجرد خبر، بل يتحول إلى حدث حاضر يعيشه المتلقي لحظة سماعه أو قراءته. وهنا تأتي وظيفة الفعل المضارع الذي يمتاز بقدرته على تصوير الحدث في صورة آنية متجددة، تجعل السامع كأنه يشاهد القصة بعينه.

وقد جاء هذا التحول في مواضع كثيرة من القرآن، من أبرزها قوله تعالى في قصة فرعون: {ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ، فَحَشَرَ فَنَادَى} [النازعات: ٢٢–٢٣]، حيث ابتدأ الفعل «أدبر» بالماضي ليعطي الحدث بعده التاريخي، ثم انتقل السياق فجأة إلى المضارع «يسعى»، ليصوّر حركة فرعون في لحظة اندفاعه، وكأن القارئ يرى مشيته بعينه. وهذا ما يصفه البلاغيون بالاستحضار، أي استدعاء الحدث الغائب ليُرى حاضراً أمام المخاطَب. وقد فسّر أبو حيّان هذا الموضع بقوله: «عُدل إلى المضارع (يسعى) لاستحضار هيئة عدو فرعون في حال طلبه موسى، حتى يُرى ماثلاً أمام العيان» (٢٨)، وهو ما يجعل من التحول الزمني وسيلة تصويرية بديعة تُدخل السامع في قلب المشهد.

ويؤكد السكاكي هذا المعنى في مفتاح العلوم حين يقول: «الانتقال إلى المضارع ضرب من التصوير البياني يجعل الغائب حاضراً»(٢٩)، أي أنّ البلاغة القرآنية توظف هذا التحول لتعميق المشاركة الشعورية مع القصة، فلا يظل القارئ بعيدًا عنها، بل يصبح مشاهدًا حيًّا للأحداث. وبهذا يخرج السرد القرآني من مجرد الإخبار التاريخي إلى مستوى أرقى من التأثير النفسي والوجداني.

ويتجلى هذا الأسلوب أيضًا في قصة نوح عليه السلام حين قال تعالى: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ} [هود: ٣٨]. فالمقام في أصله مقام ماضٍ، إذ إن القصة تحكي ما وقع لنوح مع قومه، لكن اختيار صيغة المضارع «يصنع» و«يسخرون» يصوّر لحظة البناء والاستهزاء تصويرًا حيًّا متجدّدًا. وقد علّق الزمخشري على ذلك قائلاً: «المضارع يُصوّر الحال كأنها واقعة الآن، وذلك أبلغ في التنفير من فعلهم»(٣٠). أمّا ابن عاشور فقد بيّن أنّ في هذا التحول معنى آخر هو الإشارة إلى تكرّر الاستهزاء من القوم، فكأنّ سخريتهم ليست واقعة واحدة، بل عادة متجددة مستمرة، وهو ما يضاعف من حجة نوح عليهم(٣١)

ومن خلال هذا التلوين الزمني يتضح أنّ القرآن لا يريد من القصة أن تكون مجرد خبر للتاريخ، بل أن تكون درسًا متجددًا فالمضارع يُضفي على المشهد صفة الاستمرار، فيبقى الدرس حاضرًا مع كل تلاوة، وتظل العبرة ماثلة في الوجدان. ولهذا اتفق البلاغيون على أن العدول إلى المضارع يضاعف من قوة التشويق والإثارة في النص، ويجعل السامع في حالة اندماج كامل مع القصة، إذ يقطع رتابة الماضي، ويحوّل النص إلى صورة حيّة نابضة بالحركة إن الدلالة البلاغية لهذا التحول تكمن في أنه يُحقّق وحدة فريدة بين زمن القصة وزمن التلقي؛ فالماضي يُثبّت حقيقة الحدث، والمضارع يُحضر المشهد ويوحي بتكرره، فيغدو النص جامعًا بين التاريخ والتصوير، وبين الإخبار والتأثير. وبذلك يكون التحول الزمني في القرآن أداة فنية مقصودة، تُبرز ببلاغة بالغة أنّ القصة القرآنية ليست حكاية جامدة، وإنما خطاب حيّ يخاطب النفوس في كل عصر، ويجعل عبر التاريخ حاضرة متجددة.

يتّضح من خلال الاستقراء أنّ التحول من الماضي إلى المضارع في القصص القرآني ليس ظاهرة عارضة، بل هو من أرقى أدوات البيان القرآني التي تهدف إلى الجمع بين التوثيق التاريخي والتصوير الحيّ. فالماضي يُؤدي وظيفته في تثبيت الحدث وربطه بزمانه الأصلي، ليكون أساسًا للعبرة والتذكير، بينما يأتي المضارع ليضفي على السرد صفة الحيوية والتجدد، فيحوّل السامع من موقع المتلقي إلى موقع المشاهد الذي يعايش القصة لحظة بلحظة. وقد أجمع المفسرون والبلاغيون، مثل الزمخشري والسكاكي وأبي حيّان وابن عاشور، على أنّ هذا العدول الزمني يحمل قيمة

بلاغية عليا، إذ يُنشئ صورًا نابضة بالحركة والانفعال، ويجعل القصة القرآنية أكثر قربًا من وجدان المتلقي وهكذا فإن البلاغة القرآنية لا تقف عند حدود نقل الوقائع، بل تعيد صياغتها في قالب لغوي يجعلها معاصرة على الدوام، حاضرة في كل زمن، صالحة للتأثير في كل جيل. ومن ثمّ يمكن القول إنّ التحول البلاغي من الماضي إلى المضارع هو وسيلة فنية ودلالية تؤكّد أنّ القرآن الكريم ليس مجرد كتاب تاريخ، وإنما كتاب هداية وتربية، يربط بين الماضي والحاضر والمستقبل في وحدة متكاملة من البيان والتأثير.

المطلب الثالث: الأبعاد الدلالية والعقدية للتحول الزمني

إنّ التحول الزمني في القصص القرآني، من الماضي إلى المضارع أو إلى الأمر، ليس مجرد تنويع أسلوبي يهدف إلى كسر رتابة السرد فحسب، بل هو في جوهره توظيف عقدي عميق يرمي إلى ترسيخ معاني الإيمان وإبراز مقاصد القرآن في الهداية والتذكير. فالنظم القرآني حين يروي أحداث الأمم السابقة بصيغة الماضي، فإنه يقدّمها على أنها وقائع ثابتة، قد انقضت بحقائقها ونتائجها، فلا مجال للشك فيها. وهذا البعد يعكس مقصدًا عقديًا جوهريًا، وهو تثبيت صدق الرسالة والنبوة وإقامة الحجة على الناس. ففي قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ} [الأعراف: ٥٩]، نلحظ أن الماضي «أرسلنا» قد جاء مؤكّدًا بلام القسم وقد، ليغدو الخبر قاطعًا في تحقّقه. وقد علّق الرازي على مثل هذه المواضع بأنّها «إفادة للتوكيد على أنّ ما قصّه القرآن من أخبار الأنبياء واقع لا ريب فيه، ليكون برهانًا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم»(٣٢)

غير أنّ المقصد العقدي لا يتوقف عند هذا الحد، بل يتعمّق أكثر عند الانتقال إلى المضارع، إذ إنّ العدول إليه يخرج القصة من الماضي التاريخي إلى الحاضر الدائم. ففي قوله تعالى: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ} [هود: ٣٨]، لا يكتفي القرآن بتقرير فعل نوح في زمن غابر، بل يصوّره وكأنه يجري الآن، لتظل تجربة الصبر والإصرار على الدعوة شاخصة في وعي المؤمنين. وقد أشار ابن عاشور إلى هذه الدلالة العقدية بقوله: «المضارع هنا يُفيد تصوير الحدث في حال تلبّسه، وذلك إيماء إلى أنّ الصراع بين الحق والباطل متجدّد في كل عصر»(٣٣). وهكذا يغدو التحول الزمني وسيلة لترسيخ معنى أنّ سنن الله في الابتلاء والنجاة ليست قاصرة على قوم بعينهم، وإنما هي قوانين إلهية جارية في كل زمان.

أما حين يأتي الأمر في سياق القصص، كما في قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١]، فإنّ النص ينتقل من دائرة الإخبار إلى دائرة التكليف المباشر، فيتحول الخطاب من وصف حال الأمم السابقة إلى تقرير العقيدة التي على المخاطبين التزامها. ومن هذا المنظور العقدي، يكون التداخل الزمني قد بلغ ذروته؛ إذ يربط الماضي بالحاضر، ويحوّل التاريخ إلى رسالة عملية حاضرة. وقد بيّن الطاهر بن عاشور أنّ الأمر هنا ليس مقصورًا على النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو موجّه للأمة كلها، ليجعل التوحيد عقيدة ناطقة حاضرة في الوجدان والواقع(٣٤).

ومن ثمّ، فإنّ الأبعاد العقدية لهذا التداخل تتلخص في ثلاث وظائف كبرى:

أولاً: التوكيد العقدي من خلال الماضي، بما يرسّخ صدق الرسالة ويثبت حقائق الوحي.

ثانيًا: الإحياء والتجسيد من خلال المضارع، بما يجعل القصة متكررة الدلالة وصالحة لكل زمان.

ثالثًا: التكليف والالتزام من خلال الأمر، بما يحوّل العبرة التاريخية إلى منهج عملي في حياة المؤمن.

وهكذا يتضح أنّ التداخل الزمني في القرآن ليس مظهرًا أسلوبيًا محضًا، وإنما هو جزء من بنية العقيدة نفسها، إذ يجعل الإيمان ممتدًا عبر الأزمنة: راسخًا بالماضي، حاضرًا بالمضارع، وموجّهًا بالمستقبل من خلال الأمر والنهي. وبهذا يحقق القرآن وحدة متكاملة بين البيان والاعتقاد، بين اللغة والعقيدة، في أسلوب لا نظير له في النصوص البشرية.

المطلب الرابع: المقارنة بين التحول الزمني في القرآن والأسلوب العربي القديم

إنّ دراسة التحول الزمني في القصص القرآني لا تكتمل إلا بالنظر إلى ما كان مألوفًا عند العرب في أشعارهم وأخبارهم قبل نزول القرآن، إذ أنّ اللغة القرآنية نزلت في بيئة لغوية غنية بالصور البيانية والأساليب النحوية. ومن

أبرز ما عُرف عند العرب قبل الإسلام ظاهرة الانتقال بين الأزمنة في الكلام، حيث يُفتتح السرد بالماضي ثم يُنقل إلى المضارع فجأة، بغرض تجسيد المعنى وتقريب الصورة. فقد جاء في قول امرئ القيس وهو يصف رحيله:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ ... بِسقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ
فتوضِحَ فالمِقراةِ لَم يَعفُ رَسمُها ... لِما نَسَجَتها مِن جَنوبٍ وَشَمأَلِ
كَأَنّي غَداةَ البَينِ يَومَ تَحَمَّلوا ... لَدى سَمُراتِ الحَيِّ ناقِفُ حَنظَلِ

في البيت الأخير، ينتقل الشاعر من الماضي «تحملوا» إلى المضارع في «كأني غداة البين...»، ليوحي بأنّ مشهد الرحيل لا يزال حاضرًا في ذهنه وكأنه يقع أمامه الآن. وهذا الأسلوب هو ما اصطلح عليه البلاغيون لاحقًا بـ«الاستحضار»، وهو ذاته الذي يوظفه القرآن ولكن على نحو أرفع وأعمق، إذ يجعل الاستحضار وسيلةً تربوية وعقدية، لا مجرد تصوير شعوري عاطفي.وفي الخطابة الجاهلية كذلك، نجد انتقالًا من الماضي إلى المضارع لتقريب الأحداث، كما في أخبار العرب عند ذكر وقائعهم: يبدأ الراوي بقوله «كان كذا وكذا» ثم يتحول إلى الحاضر ليقول «فإذا هو يضرب... فإذا القوم يثورون...» إلخ. وهذا الانتقال الزمني يخدم غرض الإحياء والتأثير في السامعين.(٣٥)

غير أنّ القرآن، وهو يوظف هذا الأسلوب، ارتقى به من مستوى الانفعال الفني إلى مستوى الهداية العقدية. فبينما كانت غاية الشعراء والخطباء أن يُثيروا العاطفة أو يُحركوا الخيال، جعل القرآن من التحول الزمني وسيلة لإثبات حقائق الإيمان، وتجسيد عبر التاريخ، وتثبيت العقيدة في القلوب. ففي قوله تعالى: {ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى} [النازعات: ٢٢-٢٣]، يتكرر الأسلوب الذي عُرف عند الشعراء، لكنّه هنا لم يعد مجرّد صورة بلاغية، بل أداة لإبراز طغيان فرعون وتجسيد مشهده ليبقى عبرة للأمم.

ومن هنا يتضح أنّ التحول الزمني في القرآن ليس غريبًا عن الذائقة العربية، بل هو أسلوب مألوف في لسان العرب، غير أنّ القرآن استعمله بصورة أرقى، حيث جمع فيه بين الإعجاز البياني والمقاصد العقدية، وأخرجه من كونه مجرد تلوين أسلوبي إلى كونه آليةً للتربية والهداية. وهكذا يلتقي القرآن مع التراث العربي في الأداة، ويفترق عنه في الغاية، ليثبت أنّه يخاطب الناس بلغتهم وأساليبهم، ثم يسمو بها إلى مستوى أسمى يخدم العقيدة ويحقق الهداية.

المطلب الخامس: الأثر البياني والتربوي للتحول الزمني في القصص القرآني

لا يقتصر التحول من الماضي إلى المضارع في النص القرآني على وظيفة نحوية أو بلاغية فحسب، بل يترك أثرًا بالغًا في وجدان المتلقي وتربيته الإيمانية. فالقرآن الكريم لا يريد من القصة أن تكون تاريخًا جامدًا، بل يسعى من خلالها إلى تشكيل الوعي العقدي والسلوكي للأمة. ولهذا كان التحول الزمني أداةً بيانية مقصودة، تستثير العقل والقلب معًا، وتربط بين الماضي والحاضر والمستقبل في وحدة تربوية متكاملة.

فالماضي في سياق القصة يرسّخ حقيقة وقوع الأحداث وانقضائها، فيستشعر القارئ أنّ ما جرى مع الأقوام السابقة قد تمّ وانتهى، وأنّ نتائجه قد تحققت، فلا سبيل إلى إنكارها. وهذا الوعي التاريخي يُهيّئ النفس لتقبّل العبرة والاتعاظ. ثم يأتي المضارع ليكسر هذا الجمود الزمني، ويحوّل الأحداث إلى صور حاضرة نابضة، فيعيش القارئ تفاصيلها وكأنها تقع الآن أمامه، مما يضاعف أثرها النفسي والوجداني. وبعد ذلك يأتي الأمر والنهي ليحوّل العبرة من مجرد مشاهدة فكرية إلى تكليف عملي يُطالب به السامع في واقعه اليومي. وهكذا يتكامل البعد الزمني ليصنع من القصة القرآنية أداة للتربية الشاملة.

وقد تنبّه المفسرون إلى هذا البعد، فقال ابن عاشور إنّ العدول إلى المضارع في قصة نوح {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ} [هود: ٣٨] يُفيد تصوير الفعل في حال تلبّسه، «وفي ذلك إشعار بأنّ الدروس القرآنية لا تنقطع بزمان، بل هي متجددة مع كل عصر»(٣٦) بينما رأى الزمخشري أنّ الاستحضار في قوله تعالى: {ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى} [النازعات: ٢٢] هو «أبلغ في تصوير عناد فرعون وإبراز طغيانه للسامع»(٣٧). وهذه التفسيرات تكشف عن إدراك واضح للأثر

التربوي، حيث ينتقل القارئ من مجرّد معرفة الحدث إلى معايشته شعوريًا، ثم إلى تحويله إلى عبرة عملية.

إنّ هذا الأثر البياني والتربوي يجعل القصة القرآنية نصًا مفتوحًا على جميع الأزمنة، فهي تُذكّر المؤمن بأنّ ما وقع للأمم السابقة قد يتكرر في واقعه إذا سلك مسلكهم، وأنّ النجاة مرهونة بالثبات على العقيدة والعمل بمقتضى الأمر الإلهي. وبهذا يصبح التحول الزمني وسيلة لترسيخ الدوام والاستمرارية في العبرة، فلا يظل القرآن نصًا تاريخيًا، بل يغدو كتاب حياة يهدي البشرية في كل زمان ومكان.

النتائج:

١. يتبيّن أنّ الفعل الماضي هو الأصل في السرد القرآني، لأنه يرسّخ الأحداث في ذهن السامع على أنها وقائع تاريخية ثابتة، ويؤكد صدق النبوات والرسالات.

٢. الانتقال إلى الفعل المضارع في سياق الماضي يُعطي القصة بعدًا تصويريًا حيًّا، إذ يستحضر الحدث ويُجسّده وكأنه يقع أمام السامع، وهو ما أطلق عليه البلاغيون «الاستحضار».

٣. المضارع في بعض المواضع يُفيد التجدد والاستمرار، فيوحي بأن العبرة لا تخص زمنًا محددًا، بل تتكرر عبر الأجيال، وهو ما يجعل الدرس القرآني دائم الصلة بالواقع.

٤. إدخال الأمر والنهي في ثنايا السرد يحوّل القصة من مجرد خبر تاريخي إلى تكليف عقدي مباشر، يربط بين الماضي والحاضر والمستقبل.

٥. أظهر المفسرون والبلاغيون (كالزمخشري، وأبي حيّان، وابن عاشور، والرازي) اتفاقًا على أنّ هذا التلوين الزمني يخدم مقاصد عليا: توكيد الحقائق الإيمانية، وتجسيد المشاهد، وتجديد العبرة في كل عصر.

٦. المقارنة مع الشعر والقصص الجاهلي تكشف أنّ التحول الزمني كان معروفًا في لسان العرب، غير أنّ القرآن ارتقى به إلى مستوى أسمى، فجعل منه وسيلة عقدية وتربوية، لا مجرد تصوير عاطفي.

٧. يتضح أنّ التحول الزمني في القرآن يجمع بين التوثيق التاريخي، والتصوير البلاغي، والتكليف العقدي، والتأثير التربوي، مما يجعله أداة متكاملة للهداية والتذكير.

٨. هذه الظاهرة تكشف عن جانب من جوانب الإعجاز القرآني، حيث تتداخل البنية النحوية مع الدلالات البلاغية والعقدية في نسق واحد يخدم مقصد القرآن الأعظم: ترسيخ التوحيد والإيمان.

الهوامش:

١–ابن جني، "الخصائص"، ج٢، ص١٥

٢–سيبويه، "الكتاب"، ج١، ص٢١.

٣–الزمخشري، "الكشاف"، ج١، ص١٤٠

٤–الطبري، "جامع البيان"، ج٨، ص١٣٥

٥–ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج٧، ص٢٣.

٦–الرازي، "مفاتيح الغيب"، ج٣، ص٢٧

٧– ابن هشام، "مغني اللبيب"، ج١، ص٢٣٨

٨–ابن هشام، "مغني اللبيب"، ج١، ص ٢٤٢

٩–أبو حيّان الأندلسي، "البحر المحيط"، ج١٠، ص ٣١٥.

١٠–السكاكي، "مفتاح العلوم"، ص ٣١٢.

١١– الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، ج٢، ص ٢٨٩.

١٢–ابن هشام، "مغني اللبيب"، ج١، ص ٢٤٣.

١٣–الرازي، "مفاتيح الغيب"، ج٤، ص ١٨٨.

١٤–سيبويه، "الكتاب"، ج١، ص ٢٥.
١٥–الزمخشري، "الكشاف"، ج١، ص ١٤٠.
١٦–ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج٧، ص ٢٣.
١٧–أبو حيّان، "البحر المحيط"، ج١٠، ص ٣١٥.
١٨–السكاكي، "مفتاح العلوم"، ص ٣١٢.
١٩–الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، ج٢، ص ٢٨٩.
٢٠–الرازي، "مفاتيح الغيب"، ج٣، ص ٢٧.
٢١–الزمخشري، "الكشاف"، ج٢، ص ١١٢.
٢٢–ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج١٢، ص ٤٥.
٢٣–ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج٣٠، ص ٤٥٢.
٢٤–أبو حيّان، "البحر المحيط"، ج١٠، ص ٣١٥.
٢٥–السكاكي، "مفتاح العلوم"، ص ٣١٢.
٢٦–الزمخشري، "الكشاف"، ج٢، ص ١١٢.
٢٧–ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج١٢، ص ٤٥.
٢٨–البحر المحيط، ج١٠، ص ٢٥٠
٢٩–مفتاح العلوم، ص ٣٦٧
٣٠–الكشاف، ج٢، ص ٣٢٧
٣١–التحرير والتنوير، ج١٢، ص ٦٧.
٣٢–مفاتيح الغيب، ج١٢، ص ٤٥.
٣٣–لتحرير والتنوير، ج١٢، ص ٦٧
٣٤–التحرير والتنوير، ج٣٠، ص ٥١٦
٣٥–عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ص ٢١٥.
٣٦–التحرير والتنوير، ج١٢، ص ٦٧
٣٧–الكشاف، ج٤، ص ٢١٠

المصادر والمراجع

١– أبو حيّان الأندلسي. (ت. ٧٤٥هـ). البحر المحيط.
٢– ابن عاشور، محمد الطاهر. (ت. ١٣٩٣هـ). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.
٣– ابن جني، أبو الفتح عثمان. (ت. ٣٩٢هـ). الخصائص. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٤– ابن هشام، عبد الله بن يوسف. (ت. ٧٦١هـ). مغني اللبيب. بيروت: دار الفكر.
٥– الزمخشري، محمود بن عمر. (ت. ٥٣٨هـ). الكشاف. بيروت: دار المعرفة.
٦– الزركشي، بدر الدين محمد. (ت. ٧٩٤هـ). البرهان في علوم القرآن. القاهرة: دار الحديث.
٧– السكاكي، يوسف بن أبي بكر. (ت. ٦٢٦هـ). مفتاح العلوم. بيروت: دار الكتب العلمية.
٨– سيبويه، عمرو بن عثمان. (ت. ١٨٠هـ). الكتاب. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٩– الطبري، محمد بن جرير. (ت. ٣١٠هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. بيروت: دار الفكر.
١٠– الجرجاني، عبد القاهر. (ت. ٤٧١هـ). دلائل الإعجاز. القاهرة: مطبعة دار الكتب.
١١– الرازي، فخر الدين. (ت. ٦٠٦هـ). مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

فصلية مُحكمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ كانون الأول ٢٠٢٥م

Al-Thakawat Al-Biedh Maga-

Website address
White Males Magazine
Republic of Iraq
Baghdad / Bab Al-Muadham
Opposite the Ministry of Health
Department of Research and Studies
Communications
managing editor
07739183761
P.O. Box: 33001
International standard number
ISSN 2786-1763
Deposit number
In the House of Books and Documents
(1125)
For the year 2021
e-mail
Email
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

فصلية مُحكمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ كانون الأول ٢٠٢٥م

general supervisor

Ammar Musa Taher Al Musawi

Director General of Research and Studies Department

editor

Mr. Dr. fayiz hatu alsharae

managing editor

Hussein Ali Mohammed Al-Hasani

Editorial staff

Mr. Dr. Abd al-Ridha Bahiya Dawood

Mr. Dr. Hassan Mandil Al-Aqili

Prof. Dr. Nidal Hanash Al-Saedy

a.m.d. Aqil Abbas Al-Rikan

a.m.d. Ahmed Hussain Hai

a.m.d. Safaa Abdullah Burhan

Mother. Dr.. Hamid Jassim Aboud Al-Gharabi

Dr. Muwaffaq Sabry Al-Saedy

M.D. Fadel Mohammed Reda Al-Shara

Dr. Tarek Odeh Mary

M.D. Nawzad Safarbakhsh

Prof. Noureddine Abu Lehya / Algeria

Mr. Dr. Jamal Shalaby/ Jordan

Mr. Dr. Mohammad Khaqani / Iran

Mr. Dr. Maha Khair Bey Nasser / Lebanon